السنن الإلهية في سورة يوسف عليه السلام
هداياتها وتنزليها على الواقع

دكتور / يوسف بن زيدان بن مزيد السلمي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة تبوك
فرع الكلية الجامعية بتيماء
رئيس قسم الدراسات الإسلامية

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه

أما بعد:

فإن الله تعالى خلق الكون، وأقام له نظاما ، على قوانين وسنن إلهية ، لها صفة الثبات والدوام ، والعموم والشمول، والاطراد والاستمرار، وسورة يوسف فيها من هذه السنن الإلهية التي لها تأثيرها في الأنفس والمجتمعات فهي تحرك القلوب وتستثيرها إلى الإقبال على الله والحذر من مخالفته حتى لا تحيق بهم سنن الله التي لاتحابي أحدا ولاتتبدل ولاتتغير ، ومن هذه السنن نستشرف هداياتها ونحاول ربطها بالواقع .

لأجل ذلك كانت هذه الدراسة موضوع اهتمام هذا البحث.

أهمية الدراسة :

لايخفى ما لموضوع السنن الإلهية من أهمية ،وخصوصاً أنه يتعلق بالقرآن الكريم وبسورة يوسف خاصة التي اتضح فيها بجلاء ما جعله الله في ثناياها من عبر ودروس وسنن إلهية ،ويبلغ الأمر أهميته اذا تم تنزليها على الواقع لتتبين الرؤى ، وتتير الطريق للسالكين ، وتحل كثير من مشكلات الأفراد والمجتمعات .

الدراسات السابقة :

من خلال البحث في مصادر المعلومات والمكتبات والمواقع العلمية لم أجد بحثا خاصا عن ((السنن الإلهية في سورة يوسف)) هناك بحوث عن السنن الإلهية في القرآن بشكل عام منها :

١ــ السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم

إعداد : الأستاذ الدكتور: توفيق بن أحمد الغلبزوري
بحث مقدم للمشاركة في تأطير الدورة التكوينية الجامعية التي نظمها المعهد العالمي للفكر بواشنطن ٢٠٠٧م .
فهو واضح من عنوانه لم يتطرق إلى السنن الإلهية في سورة يوسف بل حديث عام عن السنن الإلهية في القرآن الكريم .
٢ــ مفهوم السنن الإلهية في الفكر الإسلامي محمد رشيد رضا نموذجاً، إعداد :الدكتور: حازم زكريا محي الدين
وهي رسالة ماجستير من كلية الإمام الأوزاعي بيروت
من خلال النظر فيها لم يتطرق الباحث عن السنن الإلهية في يوسف بل تحدث بشكل عام ، وركز حديثه عن رشيد رضا واهتمامه بالسنن الإلهية .

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي :
١ــ استخراج السنن الإلهية من سورة يوسف .
٢ــ استنباط أهم الهدايات من السنن الإلهية في سورة يوسف .
٣ــ تنزيل السنن الإلهية في سورة يوسف على الواقع .

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث استخدام منهجين من مناهج البحث :
١ــ المنهج الاستقرائي : وذلك باستقراء سورة يوسف من أولها إلى آخرها واستخراج مواضع السنن الإلهية من الآيات الكريمة .
٢ــ المنهج الاستنباطي : وذلك يقتضي استخراج الهدايات القرآنية من الآيات التي اشارات إلى سنن الله الإلهية من خلال سورة يوسف .

خطة البحث :

هذه الدراسة أقيمت على خطة تقوم على مقدمة وثلاثة مباحث وكل مبحث تحته عدة مطالب وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات:

المبحث الأول : مقدمات عن سورة يوسف وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول : أسماء السورة

المطلب الثاني :زمان ومكان نزول السورة وعدد آياتها وترتيبها في النزول.

المطلب الثالث: أهداف السورة الأساسية
المطلب الرابع: ارتباط السورة بما قبلها.
المطلب الخامس : سبب نزولها.
المبحث الثاني : السنن الإلهية تعريفها وأهميتها وطريقة عرضها في القرآن وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول : تعريف السنن الإلهية في اللغة وفي اصطلاح المفسرين .
المطلب الثاني : السنن الإلهية في القرآن:
المطلب الثالث: أهمية العلم بالسنن الإلهية.
المبحث الثالث : السنن الإلهية في سورة يوسف وفيه أربعة عشر مطلب .
المطلب الأول : سنة الله في جعل الشيطان عدو للإنسان.
المطلب الثاني :سنة الله بأنه هو الغالب لما سواه.
المطلب الثالث :سنة الله في حسن جزائه للمحسنين في الدنيا والآخرة
المطلب الرابع: سنة الله في خذلان الظالمون وعدم فلاحهم
المطلب الخامس : سنة الله في مجازاة من أخلص بدفع السوء عنه
المطلب السادس:سنة الله في أن الحكم الحق في الربوبية، والعقائد والعبادات الدينية لله عزوجل .
المطلب السابع : سنة الله في إبطال كيد الخائنين.
المطلب الثامن : سنة الله في النفس أنها ميالة إلى السوء.
المطلب التاسع : سنة الله في حفظ ثواب المحسنين.
المطلب العاشر : سنة الله في من آمن واتقى أن جزائه خير في الآخرة .
المطلب الحادي عشر : سنة الله في أنه إذا استودع شيئاً حفظه.
المطلب الثاني عشر : سنة الله في أنه فوق كل ذي علم عليم .
المطلب الثالث عشر : سنة الله في أنه لايقنط من رحمته إلا القوم الكافرون.
المطلب الرابع عشر : سنة الله في أن عقوبته واقعة بالمجرمين لامحالة .

المبحث الأول : مقدمات عن سورة يوسف وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول أسماء السورة

الاسم الوحيد لهذه السورة هو اسم سورة يوسف

ووجه تسميتها: ظاهر لأنها قصت قصة يوسف– عليه السلام– كلها، ولم تذكر قصته في غيرها. ولم يذكر اسمه في غيرها إلا في سورة الأنعام وغافر.

ولم تذكر قصة نبيء في القرآن بمثل ما ذكرت قصة يوسف– عليه السلام– هذه السورة من الإطناب[١].

وفي هذا الاسم تميز لها من بين السور المفتتحة بحروف الر[٢].

المطلب الثاني :زمان ومكان نزول السورة وعدد آياتها وترتيبها في النزول.

نزلت سورة يوسف بمكة [٣]وهو القول الذي لا ينبغي الالتفات إلى غيره. وقد قيل: إن الآيات الثلاث من أولها مدنية[٤].

قال في «الإتقان» : وهو واه جدا لا يلتفت إليه[٥].

وآياتها إحدى عشرة ومائة[٦].باتفاق أصحاب العدد في الأمصار[٧].

وترتيبها في النزول :

وهي السورة الثالثة والخمسون في ترتيب نزول السور على قول الجمهور.

نزلت بعد سورة هود، وقبل سورة الحجر[٨].

المطلب الثالث: أهداف السورة الأساسية

أهداف سورة يوسف عليه السلام تتلخص فيما يلي :

١ـــ بيان قصة يوسف– عليه السلام– مع إخوته، وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبر من نواح مختلفة.

---

[١] التحرير والتنوير١٢/١٩٧.

[٢] التحرير والتنوير١٢/١٩٧.

[٣] انظر : جامع البيان١٣/٥.

[٤] التحرير والتنوير١٢/١٩٧.

[٥] الاتقان ١/٥٩.

[٦] انظر : جامع البيان١٣/٥.

[٧] التحرير والتنوير١٢/١٩٨.

[٨] التحرير والتنوير١٢/١٩٧.

٢ــ فيها إثبات أن بعض المرائي قد يكون إنباء بأمر مغيب، وذلك من أصول النبوءات.

٣ــ أن تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالحي عباده.

٤ــ بيان خطورة تحاسد القرابة بينهم.

٦ــ بيان لطف الله بمن يصطفيه من عباده.

٧ــ أن العبرة بحسب العواقب، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتوبة.

٨ــ ذكر سكنى إسرائيل وبنيه بأرض مصر.

٩ــ تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بما لقيه يعقوب ويوسف- عليهما السلام- من آلهم من الأذى.

١٠ ــ فيها العبرة بصبر الأنبياء مثل يعقوب ويوسف- عليهم السلام- على البلوى. وكيف تكون لهم العاقبة.

١١ــــ وفيها العبرة بهجرة قوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى البلد الذي حل به كما فعل يعقوب- عليه السلام- وآله، وذلك إيماء إلى أن قريشا ينتقلون إلى المدينة مهاجرين تبعا لهجرة النبيء صلى الله عليه وسلم.

١٢ــ وفيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجارتها. واسترقاق الصبي اللقيط. واسترقاق السارق، وأحوال المساجين. ومراقبة المكابيل[١].

المطلب الرابع:ارتباط السورة بما قبلها.

نزلت هذه السورة بعد سورة هود، وهي مناسبة لها، لما في كلّ من قصص الأنبياء، وإثبات الوحي على النبي صلى الله عليه وسلّم[٢].

أما ارتباطها بسورة يونس وهود بشكل أدق فإنه "لما تقدم أول سورتي يونس وهود وصف القرآن بالحكمة والإحكام والتفصيل، وصف هنا بأخص من ذلك فقال تعالى: {المبين} أي البين في نفسه أنه جامع معجز لا يشتبه على العرب بوجه، والموضح

[١] انظر: التحرير والتنوير ١٢/١٩٩.

[٢] التفسير المنير١٢/١٨٩.

لجميع ما حوى، وهو جميع المرادات لمن أمعن التدبر وأنعم التفكير، ولأنه من عند الله"[1].

المطلب الخامس : سبب نزولها.

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ[2]، عَنْ أَبِيهِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي قَوْلِهِ – عَزَّ وَجَلَّ – ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَتَلَاهُ عَلَيْهِمْ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ قَصَصْتَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ٢نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ٣﴾ [يوسف: ١–٣] الْآيَةَ، فَتَلَاهُ عَلَيْهِمْ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ حَدَّثْتَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣] قَالَ: كُلُّ ذَلِكَ تُؤْمَرُونَ بِالْقُرْآنِ"[3].[4]

المبحث الثاني : السنن الإلهية تعريفها وأهميتها وطريقة عرضها في القرآن وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : تعريف السنن الإلهية في اللغة وفي اصطلاح المفسرين .

لفظ «السنة» الذي جمعه «سنن» تعددت وجوه استعماله في معاجم اللغة ، ومن ذلك أن يراد به من المعاني: الطريقة، والسيرة، والبيان ، والقصد، والمثال، التغيير.

وقد ورد معنى " السنة" في اللغة على طرائق شتى منها:

١ــ الطريقة ومنه قولهم "وَجَاءَتِ الرِّيحُ سَنَائِنَ، إِذَا جَاءَتْ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ[5].

---

[1] انظر : نظم الدرر بتصرف ٥/١٠.

[2] **مصعب بن سعدبن أبي وقاص وكان مصعب ثقة كثير الحديث. قَالَ محمد بن عمر: توفي مصعب سنة ثلاث ومائة. انظر :الطبقات الكبرى ١٢٩/٥.**

[3] أسباب النزول للواحدي ٢٦٩/١.

[4] أخرجه ابن جرير (٩٠/١٢) والحاكم (في المستدرك: ٣٤٥/٢) وأبو يعلى (مسند أبي يعلى: ٨٧/٢ – ح: ٧٤٠) من طريق عمرو بن مرة به. وإسناده صحيح، وحسّنه شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤٠/١٧). انظر : أسباب النزول للواحدي ٢٦٩/١.تحقيق وتخريج عصام الحميدان.

[5] ينظر : مقاييس اللغة لابن فارس٦٠،٦١/٣.

٢ــ السيرة وَمِمَّا اشْتُقَّ مِنْهُ السُّنَّةُ، وَهِيَ السِّيرَةُ. وَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سِيرَتُهُ. قَالَ الْهُذَلِيُّ:

فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا ... فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا[١].

٣ــ البيان ومن قولهم " وسَنَّ الله سُنَّة أَي بَيَّن طريقاً قويماً[٢].

٤ــ القصد ومن قولهم "وامْضِ على سَنَنِك أَي وَجْهك وقَصْدك" [٣].

٥ــ المثال ومنه قولهم "وبَنى القوم بيوتهم على سَنَنٍ واحد أَي على مثال واحد[٤].

٦ــ التغيير ومنه قولهم" سُنَّ الماءُ فهو مَسْنُون أَي تغير"[٥].

السنة في الاصطلاح العام:

قال شيخ الإسلام بن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم) : "السنة هي العادة وهي الطريقة التي تبتكر لنوع من الناس مما يعدُّونه عبادة أولا يعدُّونه عبادة"[٦].

" أما السُّنَنُ الإلهية في اصطلاح المفسرين :

" أمر البشر في اجتماعهم وما يعرض فيه من مصارعة الحق للباطل وما يتبع ذلك يجري على طرق قويمة وقواعد ثابتة اقتضاها النظام العام"[٧].

"سُنَّةُ الله تعالى: قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته، نحو:

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الفتح: ٢٣]﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾ [فاطر: ٤٣] ، فتنبيه أنّ فروع الشّرائع- وإن اختلفت صورها- فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدّل، وهو تطهير النّفس، وترشيحها للوصول إلى ثواب الله تعالى وجواره"[٨].

---

[١] ينظر : مقاييس اللغة لابن فارس٣/٦١،٦٠.

[٢] ينظر : لسان العرب ٣/٢١٢٥.

[٣] ينظر : لسان العرب ٣/٢١٢٥.

[٤] ينظر : لسان العرب ٣/٢١٢٥.

[٥] ينظر : لسان العرب ٣/٢١٢٦.

[٦] اقتضاء الصراط المستقيم١/٢٥٤.

[٧] ينظر :تفسير المنار بتصرف ٤/١١٥.

[٨] المفردات للراغب ١/٤٢٩.

" والسنن جمع سنة– وهي السيرة من العمل أو الخلق الذي يلازم المرء صدور العمل على مثالها "[1].

" وفسروا السنن بسنن الله في الأمم الماضية.

والمعنى: قد مضت من قبلكم أحوال للأمم، جارية على طريقة واحدة، هي عادة الله في الخلق"[2].

المطلب التاسع : السنن الإلهية في القرآن:

جاء لفظ " السنة" في القرآن الكريم بالصيغة الصريحة في ستة عشر موضعا، فجاء مفردا في أربعة عشر موضعا، وجمعا في موضعين، وجاء مضافا إلى الله تعالى في تسعة مواضع، ومضافا إلى الرسل عليهم السلام في موضع واحد، ومضافا إلى الأولين في أربعة مواضع، ومضافا إلى الذين من قبل في موضع واحد، وجاء نكرة مجردة عن الإضافة في موضع واحد[3].

والسنة: وإن أضيفت إلى غير الله تعالى في بعض النصوص، فإنها لا تنفك عن كونها من خلق الله وإرادته وقدرته سبحانه، قال العلامة الطاهر ابن عاشور:"وإضافتها إلى الأولين باعتبار تعلقها بهم، وإنما هي سنة الله فيهم، والإضافة لأدنى ملابسة"[4].

وفيما يأتي تعيين الآيات التي ورد فيها لفظ السنة وفق ترتيبها في القرآن العزيز:

وهي قوله تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [النساء: ٢٦].

وقوله: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: ١٠-١٣].

---

[1] التحرير والتنوير ٩٦/٤.

[2] التحرير والتنوير ٩٧/٤.

[3] فقه سنن النفس والمجتمع في السنة النبوية للدكتور إدريس العلمي ص: ١٨، أطروحة دكتوراه، بكلية الآداب جامعة محمد الأول بوجدة. نقلا السنن الكونية توفيق بن أحمد الغلبزوري ص ٤.

[4] التحرير والتنوير ٢٥/١٤.

وقولـــه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦-٧٧].

وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: ٥٥].

وقوله: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وقولـــه:﴿۞لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦٢].

وقوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٢-٤٣].

وقوله: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥].

وقوله: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٢-٢٣] .

فتحصل من هذه الآيات الصريحة معاني السنة الواردة في القرآن الكريم وهي ثلاثة:

المعنى الأول: الطريقة الحميدة وهو المعنى المراد في سورة النساء.

المعنى الثاني: سنة الله فيما أباح للرسل، وهو المراد في موضع الأحزاب الأول.

والمعنى الثالث: العادة المألوفة والمثال المتبع في التعامل مع الأمم حال الطاعة وحـــال المعصية، وهو المراد في سورة آل عمران وسائر النصوص القرآنية الأخرى[1].

وهذا المعنى الثالث هو المقصود في هذا البحث، وهو الذي رامه أهل العلم في كلامهـــم عن سنن الله تعالى[2].

---

[1] السنن الكونية توفيق بن أحمد الغلبزوري ص ٦.

[2] المرجع السابق ص ٧.

المطلب العاشر: أهمية العلم بالسنن الإلهية.

لايخفى ما لسنن الإلهية من أهمية في حياتنا وذلك لأخذ العبرة والعظة وفي ذلك يقول الشيخ محمد رشيد رضا[1]: «إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سننا، يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علما من العلوم المدونة؛ لنستمد ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها، أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه؛ كما فعلو في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال وبينها العلماء بالتفصيل»[2] .

وقال أيضاً:" "والعلم بسنن الله – تعالى – من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن سجل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها" [3].

ونستخلص من هذا الكلام ما يلي .

١ــ أن الله له في خلقه سننا.

٢ــ أن هذه السنن ينبغي أن تصبح علما يُعلم ويُدرس ويُدون لنأخذ منها هداية وموعظة.

٣ــ أن يتصدى لهذا العلم علماء يبينون هذه السنن لأقوامهم.

"ترى شعوب المسلمين يجهلون هذه السنن الإلهية، وما ضاع ملكهم وعزهم إلا بجهلها الذي كان سببا لعدم الاهتداء بها في العمل، وما كان سبب هذا الجهل إلا الإعراض عن القرآن، ودعوى الاستغناء عن هدايته"[4].

---

[1] محمد رشيد بن علي رضا القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس. وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت. ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي.

فأقام في وطنه الثاني (مصر) مدة. توفي سنة ١٣٥٤هـ. انظر : الأعلام للزركلي ١٢٦/٦.

[2] تفسير المنار ١١٤/٤.

[3] تفسير المنار ١١٥/٤.

[4] تفسير المنار٤٨٢/٩.

"ومن أجلّ الفقه الذي يجب على الأمَّة أن تحرص عليه، أن تنظر في تحرُّك السُّنن الإلهية، وتقلُّبها في الآفاق، وتفاعلها وتداخلها في الحياة والإنسان والكون"[1].

المطلب الحادي عشر : السنن الإلهية في سورة يوسف وفيه أربعة عشر مطلبا.

المطلب الأول : سنة الله في جعل الشيطان عدو للإنسان

١ـــــ ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يوسف: ٥].

السنة الإلهية في الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾

سنة الله اقتضت أن الشيطان عدو لهذا الإنسان لايألوا جهدا في إضلاله وإغوائه وإيقاعه في الهلكات والمخازي وما يغضبه سبحانه فمن ذلك دفع أبناء يعقوب للكيد بأخيهم يوسف عليه السلام ، والسعي في إبعاده عن أبيه الشغوف به .

لذلك " قال: يعقوب لابنه يوسف:" يا بنيّ لا تقصص رؤياك"، هذه،"على إخوتك"، فيحسدوك "فيكيدوا لك كيدًا".. فيبغوك الغوائل، ويناصبوك العداوة، ويطيعوا فيك الشيطان .. إن الشيطان لآدم وبنيه عدو، قد أبان لهم عداوته وأظهرها ..فاحذر الشيطان أن يغريَ إخوتك بك بالحسد منهم لك، إن أنت قصصت عليهم رؤياك.وإنما قال يعقوب ذلك، لأنه قد كان تبين له من أخوته قبلَ ذلك حسدًا"[2].

فهم قد " يحتالون في هلاكك .. فربما يحملهم الشيطان على قصدك بسوء حينئذ"[3].

وقال له يعقوب ذلك بعد الرؤيا لأن " رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي فعلم يعقوب أن أخوته إذا سمعوها حسدوه فأمره بالكتمان "[4].

لأن يعقوب فهم منها " واعتقد أن يوسف سيكون نبيا عظيما ذا ظهور وسلطان يسود به أهله حتى أباه وأمه وإخوته، وخاف أن يسمع إخوته ما سمعه ويفهموا ما فهمه فيحسدوه ويكيدوا لإهلاكه، فنهاه أن يقص رؤياه عليهم، وعلله بقوله: فيكيدوا لك كيدا أي: إن تقصصها عليهم يحسدوك فيدبروا ويحتالوا للإيقاع بك تدبيرا شيطانيا يحكمونه بالتفكير والروية، كما يفعل الأعداء في المكايد الحربية." ثم ذكر "السبب النفسي لهذا الكيد، وهو

---

[1] هي السلفية لمحمد شقرة ٣/٩١.

[2] جامع البيان ١٥/٥٥٨.

[3] أحكام القرآن٩/١٢٢.

[4] معالم التنزيل٢/٤٧٥.

أنه من وسوسة الشيطان في النزغ بين الناس عندما تعرض له داعية من هوى النفس، وشرها الحسد الغريزي في الإنسان، كما عبر عنه يوسف بعد وقوعه وسوء تأثيره وحسن عاقبته بقوله: (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي)"[1].

" وقد علم يعقوب– عليه السلام– أن إخوة يوسف– عليه السلام– العشرة كانوا يغارون منه لفرط فضله عليهم خلقا وخُلقا، وعلم أنهم يعبرون الرؤيا إجمالا وتفصيلا، وعلم أن تلك الرؤيا تؤذن برفعة ينالها يوسف– عليه السلام– على إخوته الذين هم أحد عشر فخشي إن قصها يوسف– عليه السلام– عليهم أن تشتد بهم الغيرة إلى حد الحسد، وأن يعبروها على وجهها فينشأ فيهم شر الحاسد إذا حسد، فيكيدوا له كيدا ليسلموا من تفوقه عليهم وفضله فيهم .والكيد: إخفاء عمل يضر المكيد"[2].

ولايخفى في هذا الأمر خطر الشيطان فإنه" لا يفتر عنه ليلا ولا نهارا، ولا سرا ولا جهارا، فالبعد عن الأسباب التي يتسلط بها على العبد أولى، فامتثل يوسف أمر أبيه، ولم يخبر إخوته بذلك، بل كتمها عنهم"[3].

تنزيل السنة الإلهية على الواقع :

سنة الله اقتضت أن جعل الشيطان عدوا للإنسان فالواجب فالحذرمنه ، ومن غوائله في إيقاع العدوات بين الأخوة الأصفياء والقرابة فمن الحزم قطع الأسباب والوسائل التي تؤدي إلى ذلك من إفشاء الأسرار والإخبار بكل النعم ، ولزوم الصمت في مثل هذه الأمور في غاية الأهمية، فواقع يعقوب عليه السلام وأبنائه يبين خطورة هذا الأمر في واقع الأسر والمجتمعات فنبي الله يعقوب أعلم الناس بسنن الله في المجتعات والأسر فلذلك أكد على ابنه بعدم الإخبار بالرؤيا وذكر أن عداوة الشيطان ظاهرة في هذا الشأن.

الهدايات من السنة الإلهية في الآية الكريمة :

١ــ من الحزم كتمان بعض الأمور حتى عن الأخوة والقرابة.

٢ــ بيان شفقة الوالد على ولده .

٣ــ خوف الوالد من وقوع المكائد بين الإخوة لذلك أمره بالكتمان.

---

[1] تفسير المنار١٢/٢١٠.

[2] التحريروالتنوير١٢/٢١٣.

[3] تفسير السعدي ص ٣٩٣.

٤ــ لزوم الصمت يكون فيه السلامة (لاتقصص رؤياك على إخوانك).
٥ــ خطورة الحسد وكونه يؤدي إلى العواقب السيئة .
٦ــ دور الشيطان في شحن النفوس وإشعال العدوات .
٧ــ بيان أهمية مجاهدة الشيطان والحذر منه ومن تزيينه .

المطلب الثاني :سنة الله بأنه الغالب لما سواه

٢ــ ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]

السنة الإلهية في الآية الكريمة: (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أن الله غالب على أمر يوسف عليه السلام فهو يدبره ويعينه ويوفقه إلى ما فيه صلاح نفسه وتدبير أمره(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنه تعالى غالب على أمره بل يأخذون بظواهر الأمور ، ولايخفى أن الله تعالى " مستولٍ على أمر يوسف، يسوسه ويدبّره ويحوطه"[١].

فهو سبحانه "إذا أراد شيئا فلا يرد ولا يمانع ولا يخالف، بل هو الغالب لما سواه{ولكن أكثر الناس لا يعلمون} ..لا يدرون حكمته في خلقه، وتلطفه لما يريد"[٢] ففيها "إخبارا منبها على قدرة الله عز وجل ليس في شأن يوسف خاصة بل عاما في كل أمر"[٣].لكن في أمر يوسف تبين لطف الله به فهو تعالى " يدبره ويحوطه ولا يكله إلى غيره، حتى لا يصل إليه كيد كائد."[٤].فإن" انتظام أموره كان إلهيا، وما كان بسعيه وإخوته أرادوا به كل سوء ومكروه والله أراد به الخير، فكان كما أراد الله تعالى ودبر، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله. واعلم أن من تأمل في أحوال الدنيا وعجائب أحوالها عرف وتيقن أن الأمر كله لله، وأن قضاء الله غالب"[٥]."هذا الحكم من كونه حقيقة ثابتة .. عليها شواهد من أحوال الحدثان، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك مع ظهوره"[٦].

---

[١] جامع البيان ٢٠/١٥.
[٢] تفسير القرآن العظيم ٣٧٨/٤.
[٣] المحرر الوجيز٢٣١/٣.
[٤] أحكام القرآن ١٦١/٩.
[٥] التفسير الكبير٤٣٦/١٨.
[٦] التحرير والتنوير٢٤٨/١٢،٢٤٧.

تنزيل السنة الإلهية على الواقع :

ختم ابن عاشور كلامه عنها بحقيقة وقوعها وتكررها في أحوال الناس بقوله :

"هذا الحكم من كونه حقيقة ثابتة ...لأن عليها شواهد من أحوال الحدثان، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك مع ظهوره"[1].

فالسنة الإلهية في الإنسان أن الله جلا وعلا أمره وقدره نافذ فيه فهما رأى الناس الأمور بخلاف توقعاتهم ومرئياتهم ونظرهم فالله غالب على ذلك .

فنتأمل في واقع يوسف عليه السلام من خلال مايلي [2]:

١ــ أمره يعقوب ألا يقص رؤياه على إخوته فغلب أمر الله حتى قص.

٢ــ ثم أراد إخوته قتله فغلب أمر الله حتى صار ملكا وسجدوا بين يديه.

٣ــ ثم أراد الإخوة أن يخلو لهم وجه أبيهم فغلب أمر الله حتى ضاق عليهم قلب أبيهم، وافتكره بعد سبعين سنة أو ثمانين سنة، فقال:" يا أسفى على يوسف.

٣ــ ثم تدبروا أن يكونوا من بعده قوما صالحين، أي تائبين فغلب أمر الله حتى نسوا الذنب وأصروا عليه حتى أقروا بين يدي يوسف في آخر الأمر بعد سبعين سنة، وقالوا لأبيهم:" إنا كنا خاطئين" [يوسف: ٩٧].

٤ــ ثم أرادوا أن يخدعوا أباهم بالبكاء والقميص فغلب أمر الله فلم ينخدع، وقال:" بل سولت لكم أنفسكم أمرا" [يوسف: ١٨] .

٥ــ ثم احتالوا في أن تزول محبته من قلب أبيهم فغلب أمر الله فازدادت المحبة والشوق في قلبه.

٦ــ ثم دبرت امرأة العزيز أنها إن ابتدرته بالكلام غلبته، فغلب أمر الله حتى قال العزيز:" استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين" [يوسف: ٢٩].

٧ــ ثم دبر يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقي فغلب أمر الله فنسي الساقي، ولبث يوسف في السجن بضع سنين.

الهدايات من السنة الإلهية في الآية الكريمة :

١ــ أن أمر الله وقضائه نافذ في عباده .

٢ــ أن الله تعالى غالب على الناس في كل الأمور والشؤون .

---

[1] التحرير والتنوير ١٢/٢٤٨،٢٤٧.

[2] انظر : أحكام القرآن ٩/١٦١.

٣ــ أن الناس نظرهم قاصر في معرفة سر الله في خلقه .
٤ــ أن قلة من المؤمنين يعرفون حكم الله في الناس لذلك قال (أكثرهم)
٥ــ نظر الناس في ما حصل ليوسف عليه السلام كان قاصر كان يباع بثمن زهيد لكن الله خبأ له العز والمجد والسيادة .

المطلب الثالث :سنة الله في حسن جزائه للمحسنين في الدنيا والآخرة

٣ــ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]

السنة الإلهية في الآية الكريمة : (وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)

سنة الله في خلقه أنه يمنح المحسنين في عبادته ولعباده حسن الجزاء في الدنيا والآخرة (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وهذا ما حدث ليوسف عليه السلام لما أحسن واتقن عبادة الله وحسن خلقه مع الناس أعطاه الله حكما وعلما ومجدا ورئاسة لذلك أخبر الله بقوله " (وكذلك نجزي المحسنين) فكما جزيت يوسف فآتيته بطاعته إيّاي الحكمَ والعلمَ، ومكنته في الأرض، واستنقذته من أيدي إخوته ، الذين أرادوا قتله، كذلك نجزي من أحسن في عمله، فأطاعني في أمري، وانتهى عما نهيته عنه من معاصيّ[١].وذكره للمحسنين "تنبيه على أنه كان محسناً في عمله، متقياً في عنفوان أمره، وأنّ الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه"[٢].والإحسان يشمل " عبادة الخالق ببذل الجهد والنصح فيها، وإلى عباد الله ببذل النفع والإحسان إليهم"فمن فعل ذلك " نؤتيهم من جملة الجزاء على إحسانهم علما نافعا.

ودل هذا، على أن يوسف وفَّى مقام الإحسان، فأعطاه الله الحكم بين الناس والعلم الكثير والنبوة"[٣].

وهذا " شأننا وسنتنا في جزاء المتحلين بصفة الإحسان، الثابتين عليه بالأعمال، الذين لم يدنسوا فطرتهم ولم يدسوا أنفسهم بالإساءة في أعمالهم، نؤتيهم نصيبا من الحكم بالحق والعدل، والعلم الذي يزينه، ويظهره القول الفصل، فيكون لكل محسن حظه من الحكم الصحيح والعلم النافع بقدر إحسانه، وبما يكون له من حسن التأثير في صفاء عقله،

---

[١] جامع البيان ١٥/٢٣،٢٤.
[٢] الكشاف٢/٤٥٤.
[٣] تفسير السعدي ص ٣٩٥.

وجودة فهمه وفقهه، غير ما يستفيده بالكسب من غيره، لا يؤتى مثله المسيئون باتباع أهوائهم وطاعة شهواتهم.

....لا شك أن هذه السنة في جزاء المحسنين عامة، ولكل محسن منها بقدر إحسانه. "[1].

تنزيل السنة الإلهية على الواقع :

قال الطبري منزلاً هذه السنة عل واقع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

" وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن، فإن المرادَ به محمدٌ نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم. يقول له عز وجل: كما فعلت هذا بيوسف من بعد ما لقي من إخوته ما لقي، وقاسى من البلاء ما قاسى، فمكنته في الأرض، ووطَّأتُ له في البلاد، فكذلك أفعل بك فأنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة، وأمكن لك في الأرض، وأوتيك الحكم والعلم، لأنّ ذلك جزائي أهلَ الإحسان في أمري ونهيي"[2].

ففي واقع الناس والمجتمعات من أراد الجزاء الأوفى والخير العميم في دنياه قبل أخراه فليحسن وليتقن عبادة الله تعالى ويحسن إلى خلقه بالقول والفعل فوعد الله حق ،والله يوفي له الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة ، في الدنيا بالرزق الوفير والعلم النافع والعز والمجد، وفي الآخرة جنات النعيم ، كما وقع ليوسف عليه السلام فكانت العاقبة حميدة.

فعلى الدعاة والمصلحين تقوية العلاقة مع الله بإحسانه عبادته وحسن الخلق مع الناس واحتمال أذاهم والإحسان لهم بالقول والفعل، فالجزاء من الله على ذلك عظيم وهو سبحانه (لايضيع أجر المحسنين).

الهدايات من السنة الإلهية في الآية الكريمة :

١ــ أن الجزاء من جنس العمل .

٢ــ أن الإحسان يكون في جانب الله وجانب الناس .

٣ــ أن الإحسان يأتي بمعنى الإتقان ففيه تنبيه لإتقان عبادة الله .

٤ــ أن عاقبة الإحسان حميدة حتى ولو وقع إبتلاء في أول الأمر.

٥ــ أن الجزاء على فعل الإحسان يطلب ممن يملكه وهو الله جلا وعلا.

٦ــ الإحسان أعلى مراتب الدين ففيه تنبيه لعلو الهمة في طاعة الله حتى ينال المؤمن أعلى مراتب إحسان الله له في الدنيا والآخرة .

---

[1] تفسير المنار ٢٢٦/١٢.

[2] جامع البيان ٢٤/١٥.

٧ــ أوحت لنا الآية بتأمل تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للإحسان جاء فى الحديث فى تفسير الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[١].

المطلب الرابع: سنة الله في خذلان الظالمون وعدم فلاحهم

٤ــ ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]

السنة الإلهية في الآية الكريمة : (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)

سنة الله تعالى اقتضت أن من يظلم نفسه ويدنسها بالذنوب والمعاصي ، ويظلم الناس في أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم أنه لايفلح ولا يسعد ولاينال مطلوبه لافي الدنيا ولا في الآخرة فهذا الظالم " لا يدرك البقاء، ولا ينجح من ظلم، ففعل ما ليس له فعله"[٢].وبعضهم رأى أن الظالمون في الآية يراد بهم الزناة فقوله (لا يفلح الظالمون) أي لا يسعد الزناة"[٣].فحكم عليهم بعدم السعادة في الدنيا ولآخرة لذلك قصد يوسف عليه السلام أنه " لا يليق بي أن أقابله في أهله بأقبح مقابلة، وهذا من أعظم الظلم، والظالم لا يفلح، والحاصل أنه جعل الموانع له من هذا الفعل تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه"[٤].فهم "لا يفلحون في الدنيا ببلوغ مقام الإمامة الصالحة والرياسة العادلة، ولا في الآخرة بجوار الله ونعيمه ورضوانه"[٥].

تنزيل السنة الإلهية على الواقع :

أن سنة الله في من يظلم الناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم أنه لايفلح ولايسعد وفي واقع الناس والمجتمعات مشاهد وملاحظ ، فا أخذ العبرة وتأمل سنن الله يساعد المؤمن في التنبه لذلك والحزم مع النفس الأمارة بالسوء ، والحذر من عدواة الشيطان وتزيينه للمعاصي ليوقع الناس في الهلكة ، فنبي الله يوسف عليه السلام بما حباه الله من العلم

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم رقم (٥٠) ،وأخرجه مسلم في الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم ٩ و ١٠.

[٢] جامع البيان ٣٣/١٦.

[٣] معالم التنزيل ٤٨٣،٤٨٤/٢.

[٤] تفسير السعدي ص ٣٩٣.

[٥] تفسير المنار٢٢٩/١٢.

والتقوى تنبه لذلك لما دعته المرأة للفاحشة وذكرها بسنة الله الماضية في عباده أنه (لايفلح الظالمون)

الهدايات من السنة الإلهية في الآية الكريمة :

١ــ حفظ الله تعالى لعباده المخلصين من البوائق.

٢ــ واعظ الله في قلب المؤمن وأهميته عند اشتداد الفتن .

٣ــ السعادة والفلاح مطلب الناس في الدنيا .

٤ــ معرفة أنبياء الله بسننه تبارك وتعالى في خلقه .

٥ــ بيان أن الظلم يقع على الأنفس والأموال والأعراض .

٦ــ تذكرنا سنة الله هذه بحديث يرويه عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ»[١])

المطلب الخامس : سنة الله في مجازاة من أخلص بدفع السوء عنه

٥ــــ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤]

السنة الإلهية في الآية الكريمة : (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)

سنة الله تجازي من أخلص لله في عمله وصدق فيه أن الله بفضله ورحمته ومنته يصرف عنه أنواع السوء والفحشاء جزاء وفاقا ، فالله جازى يوسف عليه السلام أنه وقاه "السوء والفحشاء في جميع أموره"والسبب في ذلك "{إنه من عبادنا المخلصين} المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار، صلوات الله وسلامه عليه"[٢].وفي ذلك " آيةٌ بينةٌ وحجةٌ قاطعةٌ على أنه عليه السلام لم يقع منه همٌّ بالمعصية ولا توجَّه إليها قط وإلا لقيل لنصرِفَه عن السوء والفحشاء وإنما توجه إليه ذلك من خارجٍ فصرَفه الله تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتأمل .."[٣]. فهذا " فعلنا وتصرفنا في أمره لنصرف عنه دواعي ما أرادته به أخيرامن السوء، وما راودته عليه قبله من

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المظالم والغصب ، باب الظلم ظلمات يوم القيامة رقم (٢٤٤٧).و أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة الآداب، باب تحريم الظلم رقم (٢٥٧٩).

[٢] تفسير القرآن العظيم ٣٨٢/٤.

[٣] إرشاد العقل السليم ٢٦٧/٤.

الفحشاء، بحصانة أو عصمة منا تحول دون تأثير دواعيهما الطبيعية في نفسه، فلا يصيبه شيء يخرجه من جماعة المحسنين الذين شهدنا له بأنه منهم، إلى جماعة الظالمين الذين ذمهم وشهد هو في رده عليها بأنهم لا يفلحون وشهادته حق (إنه من عبادنا المخلصين) ...فهم مخلصون لله في إيمانهم به وحبهم وعبادتهم له،ومخلصون عنده بالولاية والنبوة والعناية

والوقاية من كل ما يبعدهم عنه ويسخطه عليهم...."[1]."والجامع لذلك كله أن الله صرف عنه السوء والفحشاء، لأنه من عباده المخلصين له في عباداتهم، الذين أخلصهم الله واختارهم، واختصهم لنفسه، وأسدى عليهم من النعم، وصرف عنهم من المكاره ما كانوا به من خيار خلقه"[2].

تنزيل السنة الإلهية على الواقع :

ففي واقعنا من أراد أن يصرف الله عنه السوء والمعاصي والفحشاء فليجتهد في الإخلاص لله في العبادة ويطلب من الله القبول والصدق والإخلاص ، فسوف يكلؤه الله بحفظه ، ويرعاه بعينه التي لاتنام ويدفع عنه من السوء والفحشاء ما لايخطر له على بال

الهدايات من السنة الإلهية في الآية الكريمة :

١ــ ضرورة الإخلاص لله في الأعمال والأقوال .

٢ــ تظهر عناية الله بأوليائه الصالحين في أشد المواقف.

٣ــ خطورة الوقوع في المعاصي والفحشاء على المؤمن .

٤ــ أهمية صلاح الباطن والسرائر فالإخلاص عمل قلبي.

٥ــ هناك أقوام سبقت لهم من الله العناية والاجتباء والاصطفاء.

٦ــ تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة .

المطلب السادس:سنة الله أن الحكم الحق في الربوبية، والعقائد والعبادات الدينية لله عزوجل .

٦ــ قال تعالى ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ٤٠﴾ [يوسف: ٤٠]

---

[1] تفسير المنار ١٢/٢٣١،٢٣٠.

[2] تفسير السعدي ص ٣٩٦.

السنة الإلهية في الآية الكريمة : (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)

سنة الله الإلهية اقتضت أن الحكم لله يحكم في خلقه ،وينفذ فيهم أحكامه ، وقضائه واقع بهم ، " و"الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله، وقد أمر عباده قاطبة ألا يعبدوا إلا إياه"[1].فما "القضاء والأمر والنهي إلا له"[2].و"ما الحكم الحق في الربوبية، والعقائد والعبادات الدينية إلا لله وحده يوحيه لمن اصطفاه من رسله، لا يمكن لبشر أن يحكم فيه برأيه وهواه ولا بعقله واستدلاله، ولا باجتهاده واستحسانه، فهذه القاعدة هي أساس دين الله – تعالى – على ألسنة جميع رسله، لا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة"[3].

تنزيل السنة الإلهية على الواقع :

"ومن العجب أن هذه الحقيقة التي بينها القرآن في مئات من الآيات البينات تتلى في السور الكثيرة بالأساليب البليغة، صار يجهلها كثير من الذين يدعون اتباع القرآن، فمنهم من يجهل حقيقة التوحيد نفسه، فيتوجهون إلى غير الله إذا مسهم الضر أو عجزوا عن بعض ما يحبون من النفع، فيدعونهم خاشعين راغبين من دون الله[4].

الهدايات من السنة الإلهية في الآية الكريمة :

١ــ الإيمان بقوة الله وقدرته النافذة في خلقه .

٢ــ تسود العبد الطمأنينة إذا علم أن الحكم لله .

٣ــ التسليم لحكم الله والرضا باختياره .

٤ــ حكم الله بأن نعبده سبحانه دون من سواه .

المطلب السابع : سنة الله في إبطال كيد الخائنين.

٧ــ ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ٥٢﴾ [يوسف: ٥٢]

السنة الإلهية في الآية الكريمة : (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) (٥٢)

سنة الله العامة الماضية في عباده أنه سبحانه لايوفق ولايسدد من كان يعمل في الخفاء بالكيد والخيانة أنه سوف يلقى صنيع عمله بالفضيحة والخزي في الدنيا والآخرة فهو

---

[1] تفسير القرآن العظيم٤/٣٩٠.

[2] زاد المسير٢/٤٤٠.

[3] تفسير المنار١٢/٢٥٤.

[4] تفسير المنار١٢/٢٥٥.

تعالى "لا يسدّد صنيع من خان الأمانات، ولا يرشد فعالهم في خيانتهموها"[١]. فا "الله تعالى لا يَهْدِي كيد خائن ولا يرشد سعيه.

والهدى للكيد مستعار، بمعنى لا يكلمه ولا يمضيه على طريق إصابة، ورب كيد مهدي إذا كان من تقي في مصلحة"[٢].

وفيه تنبيه وإشارة " أن صاحب الخيانة لا بد وأن يفتضح، فلو كنت خائنا لوجب أن أفتضح وحيث لم أفتضح وخلصني الله تعالى من هذه الورطة، فكل ذلك يدل على أني ما كنت من الخائنين"[٣].

أما "العريقين في الخيانة، بل لا بد أن يقيم سبباً لظهور الخيانة وإن اجتهد الخائن في التعمية؛ والخيانة: مخالفة الحق بنقض العهد العام. وضدها الأمانة، والغدر: نقضه خاصاً، والمعنى أني لما كنت بريئاً سدد الله أمري، وجعل عاقبتي إلى خير كبير وبراءة تامة، ولما كان غيري خائناً، أنطقه الله بالإقرار بها"[٤] .

فهذه الآية عامة تشمل " النساء والرجال بل تكون عاقبة كيدهن الفضيحة والنكال، ولقد كدنا له فصرف ربه عنه كيدنا وسجناه فبرأه وفضح مكرنا، حتى شهدنا له في هذا المقام السامي على أنفسنا"[٥].

لذلك " إن سنة الله في الكون جرت على أن فنون الباطل وإن راجت أوائلها لا تلبث أن تنقشع (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) [سورة الأنبياء: ١٨] "[٦].

تنزيل السنة الإلهية على الواقع :

أن صاحب الخيانة لايوفق في واقع الناس ولايسدد ولابد ان يفتضح وتتكشف خيانته مهما حاول بكل وسيلة إخفائها فهذه سنة الله التي لاتتبدل ولاتتغير، ففي الواقع نرى ونشاهد من خان فا كانت العاقبة أن آل أمره فافتضح وانكشفت خيانته .

---

[١] جامع البيان ١٤١/١٦.

[٢] المحرر الوجيز٢٥٣/٣.

[٣] التفسير الكبير٤٦٩/١٨.

[٤] نظم الدرر ١٠ /١٢٨.

[٥] تفسير المنار٢٦٧/١٢.

[٦] التحرير٢٩٣/١٢.

بيان الهدايات من السنة الإلهية في الآية الكريمة :

١ــ أن أعظم خيانة الخيانة في الدين .

٢ــ من أخطر أنواع الخيانات خيانة العرض .

٣ــ أن سنة الله في صاحب الخيانة عدم التوفيق والفضيحة .

٤ــ أن الخيانة تكون في الخفاء وبكيد ومكر لكن النتيجة أنها تتكشف ويفتضح صاحبها.

المطلب الثامن : سنة الله في خلق النفس أنها ميالة إلى السوء.

٨ــ قال تعالى ﴿۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف: ٥٣].

السنة الإلهية في الآية الكريمة : (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)

أن من طبيعة النفس وسنة الله في خلقها وتركيبها أنها ميالة إلى السوء وما يضرها ، توافق هواها ورغباتها وملذاتها حتى ولو أدى ذلك إلى هلاكها وعطبها .

فإن " نفوسَ العباد، تأمرهم بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله (إلا ما رحم ربي) .. من شاء من خلقه، فينجيه من اتباع هواها وطاعتها فيما تأمرُه به من السوء "[١] .

فهي " بالطبع مائلة إلى الشهوات فتهم بها، وتستعمل القوى والجوارح في أثرها كل الأوقات"[٢]."فإن النفس البشرية تأمر بالسوء، وتحمل عليه بما فيها من الشهوات، إلا ما رحم الله من النفوس التي يعصمها من الوقوع في المساوئ"[٣].

لكن هناك من ينجيه تعالى "من نفسه الأمارة، حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها، منقادة لداعي الهدى، متعاصية عن داعي الردى، فذلك ليس من النفس، بل من فضل الله ورحمته بعبده"[٤].

---

[١] جامع البيان ١٤٢/١٦.

[٢] أنوار التنزيل ٣ /١٦٧.

[٣] محاسن التأويل١٨٧/٦.

[٤] تفسير السعدي ص ٤٠٠.

تنزيل السنة الإلهية على الواقع :

في واقع الناس نرى نفوسهم ميالة إلى السوء وركوب الهوى والسعي في ما يغضب الله ويسخطه ، فنفوسهم تبحث عن الملذات والشهوات بلا خطام ولا زمام إلا من رحم الله منهم ، وعصمه من الوقوع في المخازي والمعاصي (وقليل ما هم)

الهدايات من السنة الإلهية في الآية الكريمة :

١ــ أن النفس من أعداء الإنسان تسعى في هلاكه .

٢ــ من صفات النفس أنها كثيرة الأمر لصاحبها بالسوء .

٣ــ أن هناك قلة ممن عصمهم الله برحمته وفضله .

٤ــ السعي في ما يصلح النفس من الهدى والعلم .

٥ــ صحبة الصالحين لها أثر في صلاح الظاهر والباطن .

المطلب التاسع : سنة الله في حفظ ثواب المحسنين.

٩ــ قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ٥٦﴾ [يوسف: ٥٦]

السنة الإلهية في الآية الكريمة : (وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)

سنة الله وعدله وحكمته التي لاتتغير أنه سبحانه لايضيع ولايبطل ثواب وأجر عباده المحسنيين الذين احسنوا في عبادته واحسنوا إلى خلقه ، فثوابهم محفوظ ومدخر لهم يلقون جزاءه في الدنيا بالرزق والخير والبركة والثناء الحسن ، وفي الآخرة جنات النعيم جزاء وفاقا ، فيوسف عليه السلام لما كان من عباد الله المحسنين مكنا الله له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ، وأجره في الآخرة وافرا. فهذه سنة إلهية أنه تعالى لايبطل " جزاء عمل من أحسن فأطاع ربه، وعمل بما أمره، وانتهى عما نهاه عنه، كما لم نبطل جزاء عمل يوسف إذ أحسن فأطاع الله"[١]

"وذلك لأن إضاعة الأجر إما أن يكون للعجز أو للجهل أو للبخل والكل ممتنع في حق الله تعالى، فكانت الإضاعة ممتنعة"[٢].

فإنه تعالى لايبطل " ثواب الموحدين، حتى يوفيه جزاءه في الدنيا، ومع ذلك له ثواب في الآخرة"[٣].

---

[١] جامع البيان ١٥١/١٦.

[٢] التفسير الكبير ٤٧٥/١٨.

[٣] ينظر : بحر العلوم للسمرقندي بتصرف ١٩٨/٢.

فهو تعالى "يجزي الذين يتصفون بالإحسان، والإحسان يقتضي استقامة العقول، وإخلاص القلوب، والقول الطيب والعمل الصالح، وغير ذلك مما يدخل في معنى الإحسان، وهذا جزاء دنيوي مداره التوفيق في القول والعمل. وفي الآخرة خير منه"[1].
قضت سنته أنه تعالى يجزي "من أحسنوا فى أعمالهم بشكران هذه النعم، بل نأجرهم عليها سعادة وهناءة، وقد بذلنا تلك النعم لمن يطلبها متى أتى الأمور من أبوابها، وسار على مقتضى السنن التي وضعناها"[2].

تنزيل السنة الإلهية على الواقع :

ففي واقع الناس أن من أحسن وأوصل أنواع الخير والنفع لهم يلقى جزائه عند الله فلا يضيع أجره عند ربه ، ويكافأه الله بأنواع الخيرات في الدنيا من رزق واسع ، وذكر طيب . وأما نعم الله "فمن يسيئون التصرف فيها فتصيبهم المنغّصات، وتتوالى عليهم المكدّرات فالمسرفون لا يلبثون أن ينالهم الفقر والعدم، والظالمون يثيرون أضغان المظلومين، وذوو الخيلاء والبطر يكونون محتقرين، وقلما يصيب المحسنين الشاكرين من ذلك شيء وإن نالهم منه شيء يكن هيّنا عليهم وهم عليه صُبر"[3].

الهدايات من السنة الإلهية في الآية الكريمة :

١ــ أن المحسن أجره محفوظ عند الله .
٢ــ أن المحسن له جزاء في الدنيا بالتمكين والعز والسيادة .
٣ــ من ثواب المحسن في الدنيا التوفيق في القول والعمل .
٤ــ أن المسيء عليه الوزر والإثم جزاء على إسأته .
٥ــ أن المسيء ليس له ذكر طيب عند الناس .

المطلب العاشر : سنة الله في من آمن واتقى أن جزائه خير في الآخرة .

١٠ــ قال تعالى ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ٥٧﴾ [يوسف: ٥٧]

السنة الإلهية في الآية الكريمة : (وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)

أن سنة الله للذين آمنوا بالله ورسوله وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه أن اجرهم في الاخرة خير وافضل من أجور الدنيا ، فجزاءًعلى أعمالهم الصالحة كانت لهم الحسنى فضلاً ومنةً منه سبحانه وتعالى.

---

[1] زهرة التفاسير ٣٨٣٥/٧.
[2] تفسير المراغي ٨/١٣.
[3] تفسير المراغي ٨/١٣.

لذلك "ولثواب الله في الآخرة (خير للذين آمنوا) للذين صدقوا الله ورسوله، مما أعطى يوسف في الدنيا من تمكينه له في أرض مصر " وهذا جزاء من "يتقون الله، فيخافون عقابه في خلاف أمره واستحلال محارمه، فيطيعونه في أمره ونهيه"[١].

قال ابن عطية :" ولما تقدم في هذه الآية الإحسان من العبد، والجري على طريق الحق لا يضيع عند الله ولا بد من حسن عاقبته في الدنيا، عقب ذلك بأن حال الآخرة أحمد وأحرى أن تجعل غرضا ومقصدا، وهذا هو الذي ينتزع من الآية بحسب المقيدين بالإيمان والتقوى من الناس وفيها مع ذلك إشارة إلى أن حاله من الآخرة خير من حاله العظيمة في الدنيا"[٢].

"وظاهر الآية العموم في كل مؤمن متق"[٣].

قال ابن كثير :" يخبر تعالى أن ما ادخره الله لنبيه يوسف، عليه السلام، في الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل، مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا "[٤] .

<u>تنزيل السنة الإلهية على الواقع :</u>

سنة الله الإلهية فيمن آمن بالله وحقق تقواه وتعامل في واقع الناس بالتقوى ومرعاة حقوق الله وحقوق عباده أن يعطيه من الخير في الدنيا من حيث لايحتسب فضلاً من الله ورحمة .

<u>الهدايات من السنة الإلهية في الآية الكريمة :</u>

١ــ أن الإيمان والتقوى سبب لكل خير في الدنيا والآخرة .

٢ــ أن صاحب الإيمان ربما تكون بدايته محرقة لكن النهاية مشرقة بإذن الله كما حدث لنبي الله يوسف عليه السلام .

٣ــ أن صاحب الإيمان قد يمتد بلاؤه ولا يظفر من الدنيا بشيء لكن آجر الاخرة خير وأعظم وأكمل .

٤ــ في الآية إشارة إلى أن يوسف عليه السلام جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة[٥].

---

[١] جامع البيان ١٥٢/١٦.

[٢] المحرر الوجيز٢٥٧/٣.

[٣] جامع أحكام القرآن٢٢٠/٩.

[٤] تفسير القرآن العظيم٣٩٦/٤.

[٥] التسهيل لابن جزي ٣٩٠/١.

المطلب الحادي عشر : سنة الله في أنه إذا استودع شيئاً حفظه.

١١ ــ قال تعالى ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ٦٤﴾ [يوسف: ٦٤].

السنة الإلهية في الآية الكريمة :

(فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)

هذه السنة الإلهية هي أن الله إذا استودع شيئاً حفظه ، فإن عباد الله الصالحين فهموا هذه السنة الربانية ففوضوا أمورهم إلى من بيده الأمر من قبل ومن بعد ، فهو خير من يحفظ ويرعى ويكلأ بالعناية من يتوكل عليه ويلجئ إليه .

"الحِفْظ ... يستعمل في كلّ تفقّد وتعهّد ورعاية"[١]

" (فَاللَّهُ خَيْرٌ حافِظاً)فأتوكل عليه وأفوض أمري إليه

(وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين"[٢].

فا" حفظه خير من حفظ غيره"[٣]

" {فالله} المحيط علماً وقدرة {خير حافظاً} منكم ومن كل أحد {وهو} أي باطناً وظاهراً {أرحم الراحمين }"[٤].

تنزيل السنة الإلهية على الواقع :

هناك مشكلة معاصرة واقعية وهي تخوف الآباء والآمهات على أبنائهم ،وذلك إذا خرجوا من المنزل ، أو ذهبوا إلى المدرسة ، أو أرسلوا إلى خارج البلاد للدراسة ، أو ذهبوا إلى البر للنزهة ، فالقرآن يقدم علاجاً ربانياً لهذا الخوف وهو تفويض الأمر لله والتوكل عليه في هذا الشأن مع الأخذ بالأسباب(فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) فهذه سنة الله التي لاتتغير بأنه كافي من يتوكل عليه وحافظ من استحفظه ، فالقرآن قدم هذا العلاج للحالة النفسية التي تمر على غالب الناس .

الهدايات من السنة الإلهية في الآية الكريمة :

١ــ أن الله تعالى إذا استحفظ شيئاً حفظه .

---

[١] المفردات للراغب ص ٢٤٥.

[٢] أنوار التنزيل ١٦٩/٣.

[٣] المفردات للراغب ص ٢٤٤.

[٤] نظم الدرر ١٥٣/١٠.

٢ــ أنه لامكان للخوف على الأبناء بعد هذا التوجيه الكريم منه سبحانه ، بالتوكل ، مع أخذ الأسباب.

٣ــ أن الله تعالى أرحم من الأباء بأبنائهم فليطمئنوا .

٤ــ هذه الآية الكريمة يؤيدها ما ثبت في مسند الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ "[١].

المطلب الثاني عشر : سنة الله في أن فوق كل ذي علم عليم .

قال تعالى ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ٧٦﴾ [يوسف: ٧٦]

السنة الإلهية في الآية الكريمة : (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)

سنة الله الإلهية أن فوق كل ذي علم من الناس ممن أوتي علما في أي فن وفي أي نوع من أنواع العلوم من هو أعلم منه بهذا العلم فهو تنبيه له بعدم الغرور ، فإن فوقه من هو أعلم منه إلى أن يصل العلم إلى منتهاه ، وهو الله عزوجل فهو عليم بذاته سبحانه علم الإنسان مالم يعلم .

" وإنما عنى بذلك أنّ يوسف أعلم إخوته، وأنّ فوق يوسف من هو أعلم من يوسف، حتى ينتهي ذلك إلى الله"[٢].

" . وقرأ ابن مسعود «وفوق كل ذي عالم» والمعنى أن البشر في العلم درجات، فكل عالم فلا بد من أعلم منه، فإما من البشر وإما الله عز وجل"[٣].

" نرفع درجات من نشاء أي بالعلم، كما رفعنا يوسف. وفي إيثار صيغة الاستقبال إشعار بأن ذلك سنة إلهية مستمرة، غير مختصة بهذه المادة.

وفوق كل ذي علم أي من أولئك المرفوعين عليم أي فوقه أرفع درجة منه"[٤].

---

[١] أخرجه الإمام أحمد في مسند عبدالله بن عمر رضي الله عنه ، والحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير نهشل بن مُجَمع الضبي الكوفي، فقد روى له النسائي، ووثقه أبو داود، وذكره ابن حبان في "الثقات"وارتضاه سفيان الثوري، وقال أبو حاتم: لا بأس به، يكتب حديثه .انظرالمسند ٤٣٠/٩ .

[٢] جامع البيان١٩١/١٦.

[٣] المحرر والوجيز٢٦٦/٣.

[٤] محاسن التأويل ٢٠٥/٦.

تنزيل السنة الإلهية على الواقع :

إذا تقرر أن فوق كل ذي علم عليم ، فيطلب العلم من الله ويتواضع فيه العلماء ولايصيبهم الغرور لأن عاقبته الهلاك والسقوط " والترفع عن أخذ العلم والحق وعن سماعه وادعاء الانتهاء فيه والاستغناء عنه من أكبر العجب، وهذا ادعاء فيما لا سبيل له إليه ولا ملك له فيه وان زعم كمال الفهم فيه والإطلاع عليه إذ ما من عالم إلا وفوقه أعلم منه، قال تعالى: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} أي لكل ذي علم من المخلوقين أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى الله عز وجل"[1].

بيان الهدايات من السنة الإلهية في الآية الكريمة :

١ــ تقرير هذه السنة الإلهية (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ).

٢ــ بيان أن العلم مراتب ودرجات.

٣ــ تنبيه العالم إلى التواضع وعدم الغرور.

٤ــ عناية الله بأوليائه الصالحين ومنحهم من العلم مراتب ودرجات .

المطلب الثالث عشر : سنة الله في أنه لايقنط من رحمته إلا القوم الكافرون.

قال تعالى ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ٨٧﴾ [يوسف: ٨٧]

السنة الإلهية في الآية الكريمة : (إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)

هذه السنة الإلهية التي يجب أن تستقر في أعماق قلوب المؤمنين المصدقين بالله ورسوله أن لاييأس ولايقنط من فرج الله ورحمته إلا القوم الكافرون ، أما المؤمنون فهو عندهم يقين بقرب بفرج الله بهم وبعباده ، فبذلك تحصل لهم الراحة والسكينة والطمأنينة .

"لا يقنط من فرجه ورحمته ويقطع رجاءه منه (إلا القوم الكافرون) القوم الذين يجحدون قُدرته على ما شاءَ تكوينه"[2].

فإن" اليأس من رحمة الله وتفريجه من صفة الكافرين. إذ فيه إما التكذيب بالربوبية، وإما الجهل بصفات الله تعالى"[3].

---

[1] التوضيح عن توحيد الخلاق . لسليمان بن عبد الوهاب ص ٣١.

[2] جامع البيان ٢٣٢/١٦.

[3] المحرر الوجيز ٢٧٤/٣.

و "اليَأْسُ: انتفاءُ الطّمعِ"[1] و معنى الروح في الآية فرجه ورحمته، وذلك بعض الرّوح"[2].

قال الأصمعي: الروح: الاستراحة من غم القلب. وقال أهل المعاني: لا تيأسوا من الروح الذي يأتي به الله، إ)نَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) لأن المؤمن يرجو الله في الشدائد"[3].

تنزيل السنة الإلهية على الواقع :

بلغ اليأس بضعفاء الإيمان اليوم مبلغه بسبب ضعف إيمانهم ويقينهم ، وهذا الأمر يقدح في إيمانهم ويقينهم بربهم علاوة على أنه من صفات الكافرين ، أما المؤمنون فإنهم بسبب قوة معرفتهم بربهم لايحصل لهم يأس من فرج الله بل يرتقبونه ، وتقوى قلوبهم بذلك .

الهدايات من السنة الإلهية في الآية الكريمة :

١ــ تقرير السنة الإلهية (إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ).

٢ــ بيان أن اليأس يهجم على النفس البشرية لكن يختلف التعامل معه بحسب ما مع الإنسان من إيمان أو كفر .

٣ــ التنبيه على خطورة اليأس من رحمة الله وأنه من صفات الكافرين .

٤ــ بيان أن المؤمنين في تفأل في تعاملهم مع الله .

المطلب الرابع عشر : سنة الله في أن عقوبته واقعة بالمجرمين لامحالة .

قال تعالى﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف: ١١٠] .

السنة الإلهية في الآية الكريمة : (وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)

سنة الله في المجرمين أن بأسه وعقوبته لابد أن تنالهم جزاء على إجرامهم وكفرهم وصدهم عن سبيل الله ."ـ (ولا يردّ بأسنا عن القوم المجرمين) لا تردُّ عقوبتنا وبطشنا

---

[1] المفردات للراغب ص ٨٩٢.

[2] المفردات للراغب ص ٣٧١.

[3] زاد المسير٤٦٦/٢.

بمن بطشنا به من أهل الكفر بنا وعن القوم الذين أجرموا، فكفروا بالله، وخالفوا رسله وما أتوهم به من عنده"[1].

"وكل ذلك إعلام بأن سنته جرت بأنه يطيل الامتحان، ويمد زمان الابتلاء والاعتبار، حثاً للأتباع على الصبر وزجراً للمكذبين عن التمادي في الاستهزاء"[2].

"وقد جرت سنة الله أن يبلّغ الرسل أقوامهم ويقيموا عليهم الحجة وينذروهم سوء عاقبة الكفر والتكذيب، فيؤمن المهتدون، ويصرّ المعاندون، فينجى الله الرسل ومن آمن من أقوامهم ويهلك المكذبين.

ولا يخفى ما فى الآية من التهديد والوعيد لكفار قريش ومن على شاكلتهم من المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم"[3].

تنزيل السنة الإلهية على الواقع :

سنة الله مستمرة وواقعة في كل زمان فمن أجرم وكفر بالله في أي زمان فسوف تناله عقوبة الله وبأسه ، فهذا تحذير للناس من الإجرام والذنوب في واقعها المعاصر ، وأنه واجب عليها أن تعود وترجع إلى الله حتى ترفع عنها عقوبة الله ومقته .

الهدايات من السنة الإلهية في الآية الكريمة :

١ــ تقرير سنة الله (ولا يردّ بأسنا عن القوم المجرمين).

٢ــ أن الله عزوجل يفعل مايشاء (لايسئل عما يفعل وهم يسئلون) .

٣ــ بيان أن عقوباته ترتفع عن المؤمنين بمفهوم المخالفة .

٤ــ بشارة للمؤمنين المضطهدين أن الله سوف ينتصر لهم ويشف صدورهم بعقوبة المجرمين.

---

[1] جامع البيان١٦/٣١٢.

[2] نظم الدرر١٠/٢٥٥.

[3] تفسير المراغي ١٣/٥٦.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات المستخلصة من هذا البحث :

أولاً: أهم النتائج :

١ــ لم تذكر قصة نبي في القرآن بمثل ما ذكرت قصة يوسف– عليه السلام بتفصيل وإطناب.

٢ــ نزلت سورة يوسف بمكة وهو القول الذي لا ينبغي الالتفات إلى غيره.

٣ــ نزلت سورة يوسف في تلك الفترة الحرجة بين عام الحزن بموت أبي طالب وخديجة سندي رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وبين بيعة العقبة الأولى ثم الثانية.

٤ــ حوت سورة يوسف أهم الأهداف التالية :

أ ــ بيان قصة يوسف– عليه السلام– مع إخوته، وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبر من نواح مختلفة.

ب ــ فيها إثبات أن بعض المرائي قد يكون إنباء بأمر مغيب، وذلك من أصول النبوءات.

ج ــ أن تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالحي عباده.

د ــ بيان خطورة تحاسد القرابة بينهم.

هـ ــ بيان لطف الله بمن يصطفيه من عباده.

٥ــ لفظ «السنة» الذي جمعه «سنن» تعددت وجوه استعماله في معاجم اللغة ، ومن ذلك أن يراد به من المعاني: الطريقة، والسيرة، والبيان ، والقصد، والمثال.

٦ ــ السنن الإلهية هي : أمر البشر في اجتماعهم وما يعرض فيه من مصارعة الحق للباطل وما يتبع ذلك يجري على طرق قويمة وقواعد ثابتة اقتضاها النظام العام.

٧ــ جاء لفظ " السنة" في القرآن الكريم بالصيغة الصريحة في ستة عشر موضعا، فجاء مفردا في أربعة عشر موضعا، وجمعا في موضعين، وجاء مضافا إلى الله تعالى في تسعة مواضع، ومضافا إلى الرسل عليهم السلام في موضع واحد، ومضافا إلى الأولين في أربعة مواضع، ومضافا إلى الذين من قبل في موضع واحد، وجاء نكرة مجردة عن الإضافة في موضع واحد .

٨ــ والسنة: وإن أضيفت إلى غير الله تعالى في بعض النصوص، فإنها لا تنفك عن كونها من خلق الله وإرادته وقدرته سبحانه .

٩ــ معاني السنة الواردة في القرآن الكريم وهي ثلاثة:
المعنى الأول: الطريقة الحميدة .
المعنى الثاني: سنة الله فيما أباح للرسل.
والمعنى الثالث: العادة المألوفة والمثال المتبع في التعامل مع الأمم حال الطاعة وحال المعصية.
١٠ــ أن هذه السنن الإلهية ينبغي أن تصبح علما يُعلم ويُدرس ويُدون لنأخذ منها هداية وموعظة كما قرره رشيد رضا .
١١ــ أهم السنن الإلهية في سورة يوسف .
الأولى : سنة الله في جعل الشيطان عدو للإنسان
الثانية :سنة الله بأنه إذا أراد شيئا فلا يرد ولا يمانع ولا يخالف، بل هو الغالب لما سواه
الثالثة :سنة الله في حسن جزائه للمحسنين في الدنيا والآخرة
الرابعة: سنة الله في خذلان الظالمون وعدم فلاحهم
الخامسة : سنة الله في مجازاة من أخلص بدفع السوء عنه
السادسة:سنة الله أن الحكم الحق في الربوبية، والعقائد والعبادات الدينية لله عزوجل .
السابعة : سنة الله في إبطال كيد الخائنين.
الثامنة : سنة الله في خلق النفس أنها ميالة إلى السوء.
التاسعة : سنة الله في حفظ ثواب المحسنين.
العاشرة : سنة الله في من آمن واتقى أن جزائه خير في الآخرة .
الحادي عشرة : سنة الله في أنه إذا استودع شيئاً حفظه.
الثاني عشرة : سنة الله في أن فوق كل ذي علم عليم .
الثالث عشرة : سنة الله في أنه لايقنط من رحمته إلا القوم الكافرون.
الرابع عشرة : سنة الله في أن عقوبته واقعة بالمجرمين لامحالة .

ثانياً :أهم التوصيات :

نذكر هنا أهم التوصيات لعلها تفيد الباحثين في الدراسات القرآنية:

١ــ أن تقر الجامعات مادة "السنن الإلهية في القرآن الكريم "في الكليات الشرعية.
٢ــ استخراج السنن الإلهية من بقية سور القرآن الكريم .
٣ــ دراسة علاقة السنن الإلهية بالواقع المعاصر.

المراجع :

١ـــ القرآن الكريم

٢ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

٣ــ أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

٤ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٥ــ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .

٦ــ الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .

٧ــ بحر العلوم ، المؤلف : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار النشر : دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي .

٨ــ زهرة التفاسير، المؤلف : الإمام الجليل / محمد أبو زهرة، دار النشر : دار الفكر العربي، الطبعة الأولى .

٩ــ زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

١٠ــ السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور: توفيق بن أحمد الغلبزوري، بحث مقدم للمشاركة في تأطير الدورة التكوينية الجامعية التي نظمها المعهد العالمي للفكر بواشنطن ٢٠٠٧م .

١١ــ الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

١٢ــ الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م .

١٣ــ تفسير القرآن العظيم، المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ –٧٧٤ هـ]، المحقق : سامي بن محمد سلامة، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

١٤ ــ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ .

١٥ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

١٦ــ التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، الناشر: دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

١٧ــ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م .

١٨ــ التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفّى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ .

١٩ــ تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفّى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م .

٢٠ ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفّى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .

٢١ــ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

٢٢ــ الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفّى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٢٣ــ الجامع الصحيح المختصر، المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق .

٢٤ــ جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

٢٥ــ صحيح البخاري، المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق .

٢٦ــ المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ .

٢٧ــ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٨ــ مسند أبي يعلى، المؤلف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي المتوفى: ٣٠٧ هـ، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – جدة، الطبعة: الثانية، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م .

٢٩ــ مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

٣٠ــ محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

٣١ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م .

٣٢ــ معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

٣٣ــ معجم مقاييس اللغة، المؤلف : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق : عبد السلام محمد هارون، الناشر : دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٤ــ المستدرك على الصحيحين، المؤلف : محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

٣٥ــ محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

٣٦ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

٣٧ــ مفاتيح الغيب، المؤلف : الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م، الطبعة : الأولى .

٣٨ــ نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، المؤلف : الإمام / برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى،دار النشر / دار الكتب العلمية ــ بيروت،الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م ــ ١٤٢٤ هـ.

٣٩ــ فقه سنن النفس والمجتمع في السنة النبوية لأخينا الدكتور إدريس العلمي ،، أطروحة دكتوراه، مرقونة بكلية الآداب جامعة محمد الأول بوجدة.

٤٠ ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : عبد الرزاق المهدي .

٤١ــ هي السلفية نسبةً وعقيدةً ومنهجاً ،بقلم محمّد إبراهيم شقرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

٤٢ــ لسان العرب ، المؤلف : ابن منظور،المحقق : عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، دار النشر : دار المعارف البلد : القاهرة .